تحديد البنيات السردية عند غريماس

د. فريحي مليكة
جامعة مستغانم

ملخص:

تقوم إشـكالية السّـرد على الحكي وعلى الأحداث التي يمكن أن تربط جهاز القصـة، والتي تفترض بدورها شخصا يحكي وشخص ينصت، ويقع التواصل وفق معادلة سردية يكون فيها الأوّل راويا أو ساردا والثاني مروي له. سنحاول في هذه الورقة البحثية توضيح بنية العمل السردي ،وأيضا سنتطرق إلى تحديد البنيات السردية.

Summary:

The problem of narration is based on the narration and on the events that can link the story system, which in turn assumes a person tells and a person listening, and communication occurs according to a narrative equation in which the first is a narrator or a narrator and the second is narrated to him. In this research paper, we will try to clarify the structure of the narrative work, and also we will discuss the narrative structures.

الكلمات المفتاحية:القصة،الخطاب السردي،البنيات.

Key words: story, narrative discourse, structures .

لقد أظهر الخطاب السـردي في مقارباته المختلفة وجود تنظيمات مجردة وعميقة تسـعى إلى إنتاج تسـلسـل منطقي بسيط للجمل ويعني السرد بالحكي، ونقصد بالمحكي النّص السردي الذي لا يتكون فقط من الخطاب السردي الذي ينتجه السارد بل أيضا من الكلام الذي يلفظه الممثلون ويستشهد به السارد وكذالك الأحداث التي يحكيها خطاب الممثلين ومن ثم فهي تتضمن العالم المسرود والعالم المتمثل به في آن واحد.

المحكي : خطاب +خطاب ممثلين

القصة أو الحكاية : العالم المسرود + العالم المتمثل به1

ولهذا تقترح مدرسة غريماس أن ينطلق الدّارس من المقطوعة القصصية (narrative séquence) لأن الجملة كيان نحوي لا يمكن أن يكون ركيزة للبحث العلامي أو حتى الدلالي، فتمييز الهياكل أو المقاطع القصـصـية يمّكن من تفكيك الخطاب على أساس مقاييس منطقية ودلالية واضحة، لأن كل مقطوعة قصصية لها أحداثها واختباراتها وحتى مفرداتها وأسلوبها وبالتالي تقوم المقطوعة القصصية على مقياسين توأمين الأول وظائفي (مجموعة متكاملة من الأحداث)والثاني أسلوبي تعبيري[2]

نجد أن غريماس ينطلق في دراسته لبنية العمل السردي من علم الدّلالة البنيوي، بحيث يقوم بتحديد بنية الشـخوص في مخطط يعتبر نموذجا لدراسـة البنيات السـردية، معتمدا على انجازات سـابقة منها أعمال هامون" و" بروب " وسوريو.

ونجد التصنيفات التالية توضح ذلك

تصنيف هامون	تصنيف بروب	تصنيف سوريو	تصنيف غريماس
شخصيات مرجعية	البطل	البطل	العامل الذات
شخصيات واصلة	البطل المزيف	البطل المضاد	العامل المعاكس
شخصيات متكررة	الآمر	الموضوع	العامل الموضوع
----------	المساعد	المساعد	المساعد
----------	المانح	المرسل	المرسل
----------	المغتصب	المرسل إليه	المرسل إليه

كما نجد غريماس حينما ميز بين العامل والممثل قدم في الواقع فهما جديدا للشـــخصـــية في الحكي، هو ما يمكن تسميته بالشخصية المجردة، وهي قريبة من مدلول الشّخصية المعنوية في عالم الاقتصاد، فليس من الضّروري أن تكون الشخصية هي شخص واحد، ذلك أن العامل في تصور غريماس يمكن أن يكون ممثلا بممثلين متعددين كما أنّه من الضّروري أن يكون العامل شخصا ممثلا، فقد يكون مجرد فكرة، كفكرة الدهر، التاريخ، وقد يكون جمادا أو حيوانا إلخ. [3]

و يكون بذلك المسـار السـردي عند غريماس هو "تتابع وحدات سـردية تجمع بينها علاقات مراتبة، تكون بسيطة أو مركبة، في تواترها، بحيث تتبادل التأثير فيما بينها وهذه الوحدات السردية عبارة عن تعاقب جمل نحوية بسيطة أما الفواعل في هذه الجملة فتتمثل في اكتساب حالات، أو الحصول على مواضيع، أو قيام بأفعال، فكل مقطع سـردي يحتوي على خطاب مضـموني يمكن تحليله واعتباره وحدة سـردية، أما الفواعل النَّحوية فإنَّها تحتل وظيفة حين تدرج ضمن مسار سردي، وانّطلاقا من هذه الوظائف التي تحتلها يقع تحديد هويتها، كما أن الفواعل تتحدد انطلاقا من علاقاتها بمواضـيع، فالفاعل من حيث طبيعته السـميائية، يعادل حالة ارتباطه بالقيم التي يكتسبها والمواضيع التي يحصل عليها "4.

1- تحديد البنيات:

تهتم مدرسة باريس السميائية والتي رائدها غريماس في دراسة النّص والخطاب وهي تدرس بنية المعنى أو الدلالة بالنّص حيث أنّه ليس سلسلة من الكلمات على الورق فهو إشارات يجسدها المتكلم ورد فعل يمكن أن يبديه المتلقي، ويتلخص المنهج السميائي في تحليل الرواية إلى تقسيم المعنى إلى وحدات صغيرةsème . ثم تقسيمها على وحدات أصغر sémème، والقصد من وراء ذلك البحث عن العلاقات الدَّاخلية التي تتداخل بين أجزاء النّص في صيغة فعل أو مجاز أو صورة فنية أو سرد روائي أو التغيير المنتظم لإحدى بنياته وتقارن عدة نصـــوص لمؤلف واحد أو لنوع أدبي واحد لفترة زمنية واحدة من أجل معرفة التّكرار المنتظم أو غير المنتظم ودلالته، ليس فقط ببيان البنيات الأساسية عن طريق تحويلها إلى وحدات صغيرة، وإنما أيضا اكتشاف مقاصد المؤلف5، ويحث غريماس على العناصر البسيطة لكي يصل إلى خلق مسار يطرق به باب العمل السردي من المحايثة إلى التّجلي. ويتم ذلك وفق تحديد البنيات العميقة والبنيات البسيطة.

أ- البنيات العميقة :

هي البنيات التي تتحدد داخلها الكينونة الإنسانية، و الخزان الثقافي الذي يتحكم لاحقا في أشكال تحقق السّلوكات، و هنا يتعلق الأمر بإمكانية الإمساك بفكرة النّص من خلال صورة أو فلم أو رقصة، وهذا لطبيعة حدود السميائية.

فبالرغم من الجدل الحاد المثار في الدّوائر العلمية حول حدود السميائية وآفاقها، وكذا أزمتها الأنطولوجية والابستمولوجية وصلتها بغيرها من النّظريات الأخرى، فإننا نستطيع القول. أن السّميائية ما فتئت تحتل مكانة متميزة في المشهد الفكري المعاصر، ليس بوصفها، نشاطا معرفيا بالغ الخصوصية من حيث أصوله وامتداداته ومن حيث مردوديته وأساليبه التحليلية فحسب، وإنما أيضا من حيث كونها علما يستمد أصوله ومبادئه من مجموعة من الحقول المعرفية الفاعلة: كاللّسانيات والفلسفة والمنطق والتّحليل النّفسي الأنثروبولوجي وغيرها، بالإضافة إلى أن موضوعها غير محدد في مجال معرفي بعينه، من حيث كونها تجعل من كل مجالات الفعل الإنساني وأنشطته محط اهتمامها، مما جعلها تغدو أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءا من الانفعالات البسيطة ومرورا بالطقوس وانتهاء بالأنساق الإيديولوجية الكبرى[6].

يرى " غريماس"، في كتابه **في المعنى** (du sens)أن توليد المعنى ليس له معنى إلا إذا كان تغييرا للمعنى الأصلي، وعلى هذا الأساس فكر في تكوين علامية شكلية ترمي إلى جانب الدّلالة التّحليلية التّأويلية إلى عقلنة المعنى بربط الصّريح بالضّمني وخصوصا بتنظير وشكلنة وسائل خلق المعنى وتصوراته ولإدماجه في هيكل منطق بقطع النّظر عن النّصوص الأدبية، وفي هذا النطاق تصور غريماس ما أسماه بالمربع العلامي[7]

ب_البنيات السطحية:

يقوم استنباط المعنى في النّص بتضمين وربط الوحدات النّصية وهو مسار ينطلق من أصغر الوحدات لاستعابها في صلب وحدات أوسع إلى أن يبلغ أوسع إطار(نص أو أثر أدبي أو مجموعة آثار)، بينما يقوم استكشاف الشكل عل العملية التحليلية الصرفة (تحليل من حل أو فك، فصل، فرق)[8]

وخلال التنظيم السّطحي يخضع السرد بكل تمظهراته لمقتضيات المواد اللّغوية الحاملة له، أي مجموع العناصر التي تدرك من خلال التشخيص ذاته، وبعبارة أخرى يتعلق الأمر بالنّص في تجلياته الخطية المباشرة كما يقرأه أي قارئ عادي.

ويتم داخله طرح الآثار المعنوية séméme باعتبارها نتاجا لدخول المعانم في علاقة مع بعضها البعض، وسيكون النموذج العاملي بوصفه صيغة تركيبية معادلا للنموذج التكويني[9]

2-تحديد الدلالة:

وبناء على هذا يجب تحديد البنيات السردية التي تأخذ صفة المحايثة والتجلي، ولهذا عند مقاربة أي نص سردي يجب تحديد مستويين اثنان في التّحليل كما حددهما غريماس وهما دلالة أصولية sémantique fondamentale ونحو أصولي grammaire fondamentaleمن جهة ونحو سردي من جهة أخرى.

أ -الدلالة الأصولية :

و هي تبحث عن البنية الدّلالية البسيطة باعتبارها بؤرة دلالية يظهر من خلالها التّقابل:

أبيض (م) أسود

وتعمل هذه البنية على الإمساك بأي مكون دلالي، ويتم ذلك في تحديد نسق العلاقات:

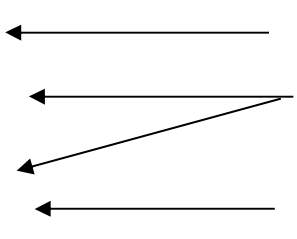

يمكن تصور الدلالة الأصولية كتطور منطقي لتضاد عنصرين يمثل كل منهما نواة دلالية إذ يمكن لكل منهما أن يرتبط بعنصر آخر يكون مناقضا له(relation de contraduction) كما تكون لكل عنصر من الزّوج المتضاد علاقة استتباعية (relation d'implication) مع نقيض العنصر المضاد الثاني.

إن الأحصاء الأصولي للأزواج الدلالية النووية ضروري لتنظيم العالم الدلالي برمته فهو يمكن من إبراز ما سماه غريماس بالدلالة الأصولية أي جملة الأزواج الدلالية البسيطة التي تشكل العالم الدلالي الإنساني، وبالتالي فالمربع العلامي ليس إلا البنية الأصولية للدلالة حين تستعمل كشكل لتنظيم الجوهر الدلالي(substance sémantique)[11]، وهي تجعل من وحدة نسق علائقي يسمح بأن يكون بؤرة دلالية للنَّص تخرج عن نطاق الزمن و تأخذ صفة اللانهائية للتأويل.

فهنا يمكن أن نعثر في حالات خاصة على الخطاب السردي الذي تتحكم فيه مقولة دلالية واحدة، ولكن غالبا ما تكون الدلالة الأصولية وكأنما هي عملية إحصائية للمقولات الدلالية 12، وهذه البنية البسيطة قادرة على توليد سلسلة من العلاقات الداخلية.

ب- النحو الأصولي والسردي :

يصف غريماس نمط الاشتغال التركيبي، الذي يعمل مهمة النّموذج التأسيسي للنّص بصورة غير مرئية، ويعني البنية الدّلالية المشار إليها لكي يمكن لها أن تجسد عملية توليد سلسلة من المتقابلات فيما بينها و يجب أن تطرح مايلي "

- أن تتشكل في مستوى محايث، أي بعيدا عن أي شكل من أشكال التّمظهر .
- -أن تملك طابع خطابي أي أن حجم الوحدات المكونة لها تكون أكبر من الملفوظ وعلى هذا الأساس وجوب التحول من الممكن الدلالي إلى التركيبي من العلاقات[13] إلى العمليات.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن كل نحو يشتمل على عنصرين أساسين هما علم الصرفMORPHOLOGIE وعلم التركيب SYNTAXE، وعلم الصرف له خاصية تصنفه وتميزه أي أنه يقوم على ترتيب الأشكال حسب أنماط معينة وعلى إدماج كل شكل ضمن نظام عام يكسبه تعريفه ومعناه، فالأشكال الصّرفية تعرف ببعضها البعض، فالمؤنث مثلا لا قيمة له إلا بالنسبة للمذكر وكذلك الجمع بالنسبة للمفرد، أما علم التركيب فهو يتكون من قواعد تنظيم عملية ترتيب العناصر الصرفية[14]

فالخصائص التي ستمكننا من بناء نحو سردي سطحي (أي بناء التركيب السردي المحض). ويجملها گريماص في العناصر التالية :

1 - يتكون النحو السردي من مورفولوجيا أولية، يوفرها النموذج التصنيفي، ومن تركيب أصولي.
ب - التركيب السردي يتحدد من خلال احتوائه على عمليات تسقط على حدود قابلة للاستثمار الدلالي.
ج - العمليات التركيبية الواقعة في الإطار التصنيفي عمليات موجهة.
د - إن هذه العمليات منظمة في متواليات تشكل إجراء يمكن تجزيئه في وحدات تركيبية إجرائية.
إن عملية القلب هاته هي التي تسمح لنا بالانتقال من النحو الأصولي إلى التركيب العاملي المشخص. أي من القواعد الضمنية إلى حالات مجسدة لهذه القواعد (استعباد - مستعبد). وهذا لا يعني التحول من المفهومي إلى الحدثي مجسدا في أفعال إنسانية بإطارها الزمكاني. فنحن في هذه المرحلة لا نقوم إلا بنقل القيم اللسانية المجردة إلى قيم مشخصة، أي ننظر إلى القيم باعتبارها محمولات قابلة لتوليد محافل تأخذ على عاتقها عملية تحيينها في أحداث محددة. [15]

فعندما تتم عملية القلب التي تقوم بإسقاط الاستبدالي (الصرفي التصنيفي) على التوزيعي (التركيبي الإجرائي)، وتتحول المعانم العميقة إلى وحدات مستترة ينظر إليها كتطابق تجريدي وكوحدات مضمونية، حينها يكون بإمكاننا الانتقال من التركيب الأصولي إلى التركيب المشخص الذي يقوم بالكشف عن "المنطق" العميق الذي يظهر في الحكايات تحت الغطاء الخطابي التصويري.
وهكذا فإن علاقة التناقض وكذا العمليات التي عبرها تتم عملية النفي والإثبات الخاصة بالحدود المتناقضة ستأخذ شكل تمثيل تشخيصي ذي طبيعة سجالية : نحن أمام ذاتين ذ 1 و ذ 2 تتصارعان من أجل الحصول على موضوع ما، وتتحددان، عبر هذا الصراع، بصفتهما قطبين متناقضين. إن موضوع هذا الصراع وغلبة إحدى الذاتين على الأخرى، هو ترجمة تشخيصية للعملية التي من خلالها يتم نفي أحد الحدود المشكلة لبنية التناقض.
وبناء عليه، فإن القلب هو قراءة المستوى الأول من خلال المستوى الثاني، واعتبار المستوى الثاني وجها آخر للمستوى الأول ، فإن القلب لا يعني التحول من مستوى إلى آخر بقدر ما يعني إعطاء صياغة جديدة لنفس المستوى.[16]
يمكن القول إذن أن البنيات السميائية / السردية المشكلة للمستوى المغرق في التجريد تتجلى على شكل نحو سميائي وسردي، وذلك في حدود كونها تعد محفلا أوليا داخل المسار التوليدي. استنادا إلى ذلك فإنها تحتوي على مكونين:
- مكون تركيبي
- مكون دلالي
ويندرج هذان المكونان ضمن مستويين :
- المستوى العميق ويشتمل على مكونين : تركيب أصولي ودلالة أصولية.
-المستوى السطحي ويشتمل على مكونين : تركيب سردي سطحي ودلالة سردية[17]
ويمكن تمثيل هذين المستويين في الجدول الآتي

	مكون تركيبي	مكون دلالي

البنيات السميائية/ السردية	المستوى العميق	التركيب الأصولي	الدلالة الأصولية
	المستوى السطحي	التركيب السردي السطحي	الدلالة السردية
البنيات الخطابية	التركيب الخطابي الممثلون الفضاء الزمن		الدلالة الخطابية الثيمات التصوير

و ما إلى ذلك من الممكنات القابلة للتحقق والتي تقبل بها العوالم الممكنة المرتبطة بهذا الوضع الإنساني ضمن شروط بعينها.

إذن الإنتاجية مفتوحة لخلق أكبر عدد من الممكنات ولتوضيح هذا التمييز بين الموضوعين يعطي بورس المثال التالي:

* الشمس زرقاء*

إن هذه الجملة حسب بورس تحتوي على معرفتين *موضوعين* هناك أولا الموضوع * شمس *، فهذه * الشمس* نعرف عنها أشياء كثيرة قبل تحققها داخل الجملة : أنها نجم لها موقع محدد داخل منظومة بعينها ، ونعرف ما قاله الفيزيائيون عنها، وما قاله الشعراء،ونعرف كذلك موقعها داخل الخرافات ،ونحن نعلم بمكانتها الدينية عند بعض الشعوب أن هذه المعرفة ليست معطاة بطريقة مباشرة داخل العلامة، بل هي معرفة مفترضة فقط، فالمتلقي لهذه الجملة يعين – داخل سياق خاص –جزء منها ،أي ما تقوله الجملة مباشرة ، أي عملية*إسناد الزرقة إلى الشمس *، وتبعا لذلك فأن المعلومة هي ما يطلق عليه بورس الموضوع المباشر، أما المعلومات الأخرى الضمنية غير المباشرة ، فإنها تشكل الموضوع الديناميكي18الذي هو منطلق أي محاولة تحليل وإنتاجية، لأننا في شتى الطرق نكون أمام موضوعين الأول مباشر وهو ما يقدم معطيات النَّص الجلية والظاهرة، والثاني الديناميكي أي الذي يفتح حيزا للتأويل و الافتراض.

وإذا كانت البنيات العاملية تشكل، باعتبارها تمثل التباشير الأولى للتحول المضموني، أي باعتبارها الوجه التركيبي للجانب العلائقي، مستوى توسطيا بين المحايثة والتجلي، فإنها تعد البؤرة الأساسية التي يتم من خلالها الانتقال من المستوى العميق إلى المستوى السطحي[19].

و تبقى السيميائية دائما في مفهومها العام دراسة لحياة العلامات داخل الخطاب، و كشفا واستكشافا عن مكنونه في رحلة بين المستوى البسيط والعميق ، أي أنَّها تدريب للعين على التقاط الضمني والظاهر، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق أو التعبير عن مكنونات المتن.

الهوامش

[1] ينظر:عبد القادر شرشار: تحليل الخطاب الأدبي وقضايا النص – منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، ط :2006.ص62.

[2] ينظر:سمير المرزوقي: جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، الدار التونسية للنشر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر.،ص127/126.

حميد لحمداني:بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي.، ص:52 /[3]51

[4] ينظر،محمد عزام: نحو تحليل سميائي للأدب النقد والدلالة، منشورا وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، 1996، ص : 84.

[5] محمد عزام: نحو تحليل سميائي للأدب النقد والدلالة، ص: 81.

[6] عقاق قادة: الأصول العلمية للنظرية السميائية مدخل نظري، مجلة النقد والدراسات الأدبية واللُّغوية، ص: 154.

[7] سمير المرزوقي: جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا،ص123.

[8] المرجع نفسه، ص : 117.

[9] ينظر: سعيد بن كراد، السميائيات السردية، مدخل النظري. منشورات الزمن، ط:2001، ص: 52/50.

[10] ينظر: المرجع نفسه، ص: 53.

[11] ينظر: سمير المرزوقي: جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا، ص: 129/128.

[12] محمد عزام:النقد والدلالة نحو تحليل سميائي للأدب، ص:80.

ينظر: سعيد بن كراد، السميائيات السردية، مدخل النظري، ص: [13]56

سمير المرزوقي: جميل شاكر، مدخل إلى نظرية القصة تحليلا وتطبيقا ، ص:129. [14]

[15] ينظر: سعيد بن كراد، السميائيات السردية، مدخل النظري، ص: 60.

ينظر: المرجع نفسه، ص: 61.[16]

[17] المرجع نفسه، ص: 69.

[18]سعيد بنكراد: السميائيات والتأويل، مدخل لسميائيات ش.س.بورس، المركز الثقافي العربي ط1، 2005، ص: 85.

[19] سعيد بن كراد، السميائيات السردية، مدخل النظري، ص:69